

الإمام الطبري وأحاديث الصيام

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

ان الامام ابو جعفر الطبري لا يحتاج الى تعريف، فهو قد كان ولا يزال أشهر من نار على علم، وكل الذي اريد قوله عنه: انه كان من ابرز علماء المسلمين «ان لم يكن ابرزهم جميعاً» في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة، وقد توفي ببغداد سنة ٣٢٠هـ رحمه الله وجزاه عن المسلمين أحسن الجزاء.

لقد طبقت شهرته الآفاق، وعرفه القاصي والداني بأنه امام المؤرخين وإمام المفسرين، وكفيه فخراً كتابه الكبير في التفسير الذي يقع في ٣٠ جزءاً، كما يكفيه لبلوغ مركز الإمامة بين المؤرخين، كتابه «تاريخ الدول والملوك» الواقع في ١٢ جزءاً.

الليث بن سعد في مصر.

اما بالنسبة للحديث النبوي الذي يحتل المرتبة الثانية كمصدر للشرعية الاسلامية، فقد غلبت فيه كتب الصحاح المعروفة، مثل موسوعات الأئمة البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه وأبي داود والحاكم الى جانب مسند الامام أحمد، ومن في مصافهم، ولم ينتبه كثيرون -وانا منهم- الى ان للامام الطبري دوراً بارزاً في جميع «مسانيد» الحديث ودراستها من حيث الرواية وضبط النص، ومن ناحية تفسير معانيها واستخراج

لقد عرف الطبري ببحره في الفقه وعلوم الدين على تنوعها، حتى بلغ فيها مرتبة الاجتهاد، وكان له من الاجتهادات ما ميّزه عن أئمة المذاهب المعروفة، اذ صار له مذهبه الخاص الذي لم يكتب له الانتشار، الذي لقّيته مذاهب اهل السنة الاربعة، وبعض مذاهب الشيعة الامامية منها أو الزيدية أو الاسماعيلية، أو مذهب الاباضية، وجميع هذه المذاهب تواصل وجود من يتبعها ويقلدها حتى يومنا هذا، كما هو معروف، وقد اختفى مذهبه من الوجود مثل مذاهب اسلامية عديدة أخرى، كمذهب الامام الأوزاعي في الشام، ومذهب

أبنائه «الفضل وتمام وعبيد الله وعبد الله» وأخيراً «مسند عبد الله بن مسعود»، انظر مقدمة مسند الامام علي كرم الله وجهه، ص ٩-١٠، من مقدمة المحقق.

اما الأجزاء التي سلمت من الضياع وتم تحقيقها ونشرها سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م، في خمسة مجلدات، فهي:

١- مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنه الذي وقع في جزئين، مجموع صفحاتهما (١١٤٢) صفحة.

٢- مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجلدين ايضاً ومجموع صفحاتهما (١٠٠٤) صفحات.

٣- مسند الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، في جزء واحد مجموع صفحاته (٤٨٨) صفحة.

وقد بذل المحقق رحمه الله جهداً كبيراً في إخراج النصوص، وإغنائها بالحواشي التي تعين القارئ على إدراك المعاني وتعريفه بما ورد في المتن، من الشخصيات التاريخية والمصطلحات والإحالات على المصادر ذات العلاقة وما الى ذلك، جزاه الله بأحسن الجزاء.

ويؤكد المحقق محمود محمد شاكر، وهو على حق، بأن هذا الكتاب من اجل كتب الطبري، وقد نهج في تصنيعه نهجاً فريداً لم يسبقه اليه أحد، ولولا وفاته قبل اتمامه لكان

الأحكام منها، بصفته اماماً لمذهب فقهي، اذ قاده البحث لجمع الحديث في نسق اختاره، وأكب على دراسته واخرجه في موسوعة جلية سماها «تهذيب الآثار وتفضيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار».

ولكن هذا الكتاب الجليل بقي زمناً طويلاً بعيداً عن متناول الباحثين، حتى ظن البعض ان ابا جعفر الطبري لم يترك أثراً يذكر لجهوده في الحديث الشريف، رغم ما عرف عنه من قوة الهمة في تأليف الموسوعات الكبرى في التفسير والتاريخ، الا ان الله سبحانه وتعالى قد يسر النشر لهذا الكتاب «او لما بقي منه، لأننا لا نعرف بالضبط عدد المسانيد التي دونها الطبري في موسوعته.

ويبدو مما ذكره تاج الدين السبكي في كتابه «طبقات الشافعية» والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ان الموسوعة اشتملت على عدد اكبر من تلك، حققها واخرجها الباحث الجليل محمود محمد شاكر -رحمه الله- ونشرتها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، اذ جعلها الطبري في الأساس تبدأ بمسانيد «العشرة المبشرة بالجنة» بدءاً بالخلفاء الراشدين الأربعة، ثم مسانيد طلحة فالزبير، فسعد بن ابي وقاص، فسميد بن زيد، فعبد الرحمن بن عوف، فأبي عبيدة بن الجراح، -تمام العشرة- يليها «مسند اهل البيت» ثم «مسند بني هاشم» الذي يتألف من «مسند العباس بن عبد المطلب» وتليه مسانيد

ثلاثة أيام «الايام البيض» وصوم كل من يومي عرفة وعاشوراء، والصوم في منى، ثم ما يتعلق بأحكام رؤية الهلال للبدء بالصوم، ورؤيته التي تؤدي الى نهايته، ولكنني لا اريد استيفاء ما ذكره الطبري في هذه المواضيع، اذ يتجاوز ذلك الحدود المعتادة لمقال ينشر في مجلتنا العزيزة «هدي الاسلام»، ولذلك اخترت ما ورد في الكتاب عن رخصة الافطار في السفر، وما يتعلق بها من احكام ناقشها الامام الطبري، فغطت ما يزيد على (٧٠) صفحة من «مسند ابن عباس رضي الله عنه» بين الصفحات ٨٩-١٦١، من السفر الأول.

يبدأ البحث المخصص لهذا الموضوع بحديث رواه سفيان بن وكيع عن ابن عباس مفاده «خرج النبي ﷺ الى حنين والناس مختلفون، فصائم ومفطر، فلما استوى على راحلته دعا بإناء من لبن، فوضعه على راحلته حتى ينظر الناس، ثم شربه، فقال المفطرون للصوام: انظروا - او افطروا - يا عصاة» انظر مسند ابن عباس ص ٨٩.

وهنا يستطرد الطبري الى الكلام عن «علل هذا الخبر» على حد قوله، ويرى ان سنده صحيح، وقد يكون عند آخرين سقيماً لعل فيه، منها انه من روايته خالد عن عكرمة عن ابن عباس والظاهر ان في هذه الرواية بعض النظر لدى بعض المختصين، كما ان فيها مثل ذلك في رواية خالد عن عكرمة، ثم انه في بعض الروايات جاء هذا

في مجموعة العمدة عند فقهاء الحديث وأئمة الفقه، وانه بما سلم منه من الضياع، يؤلف ثروة علمية باللغة الفنى، ولقد اثى عليه العلماء، ونقلوا منه نقولاً كثيرة، كابن حجر في مؤلفاته، ولا سيما «فتح الباري» و«تهذيب التهذيب» كما نقل عنه ابن الترمذاني في كتابه «الجواهر النقي في الرد على البيهقي»، كذلك ذكره ابن النديم في «الفهرست» والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» وياقوت الحموي في «معجم البلدان» والسبكي في «طبقات الشافعية» وحاجي خليفة في «كشف الظنون» انظر مقدمة مسند الامام علي ص ٧-٨.

لقد انصبت جهود الامام الطبري على دراسة الأحاديث، التي تجمعت لديه في كل واحد من هذه المسانيد، وتصنيفها حسب موضوعاتها، وتكلم عن كل حديث منها، فأشار الى علله وطرق روايته، وما فيه من الفقه والسنن، واختلاف آراء العلماء وحججهم، وما فيه من المعاني والغريب، وبعد ان يفرغ من ذلك يورد ما صح لديه هو من قول، مدعوماً بالحجة التي تؤيد صواب ما يذهب اليه «مسند الامام علي ص ١٠».

في الحقيقة ان الطبري رحمه الله، تناول في موسوعته هذه، مواضيع كثيرة تتعلق بالكثير من امور الدين، ومنها ما يتعلق بالصيام كفريضة من اركان الدين، والصيام من باب التنسك، وما ورد في الحديث بشأنها، كالصوم مدة ثلاثة أشهر، وصوم الدهر وصوم

وأخرى تنتهي عند مجاهد وابن عباس، وفي بعضها زيادات ترد على لسان الراوي تفيد مثلاً قولهم: «أنما كان افطاره ﷺ ليتقوا - أي المسلمين - على قتال المشركين» أو القول: «فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم»، قال ابن عباس: وكانت رخصة من شاء صام ومن شاء أفطر، وفي بعضها زيادة أخرى مفادها أن الرسول ﷺ بلغه «أن الناس قد أصابهم عطش وجهد، وهم صيام فدعا بماء فشرب، فأفطر يومئذ من شاء، وصام من شاء، وأنه - أي الرسول ﷺ - لم يزل مفطراً حتى دخل مكة» «ن م ص ٩٤-٩٩».

ويواصل الطبري إيراد الروايات المتعلقة بهذه الأحاديث، ويحرص على اقتباس نصوص تتضمن أقوالاً جديدة، مثل الحديث الذي رواه ابن عباس، وفيه «خرج رسول الله ﷺ إلى مكة من المدينة، فصام حتى بلغ «الكديد» ثم افطر، وإنما يؤخذ بالآخر من فعل الرسول ﷺ، هو الناسخ»، أي الذي ينبغي اتباعه.

ويستمر في إيراد الأحاديث التي تؤكد نهايتها بأن ما يجب الأخذ به هو الآخر، -أو الأحدث- مما أمر به الرسول ﷺ، انظر المصدر نفسه ص ١٠٠-١٠٢، ثم يقول الطبري: أن جماعة من الصحابة قد وافقوا «ويقصد أيديوا» ما رواه ابن عباس وابن عمر ابن الخطاب وأبو سعيد الخدري وجابر بن

الحديث مرسلأ ولم يصله رواية، إذ لم يجعل بينه وبين النبي ﷺ أحداً، كما أن لبعض المحدثين بعض النظر فيما يتعلق بخالد سالف الذكر، «المصدر نفسه ص ٩٠»، والملاحظ أن الطبري لم يفصح عن تلك التحفظات.

ثم يتناول الطبري روايات أخرى عن هذا الحادث، أي تناول النبي ﷺ للبن، ويستطرد في الكلام عن حديث آخر تنتهي روايته عند عكرمة «وهو مولى ابن عباس» عن ابن عباس في قوله: أن الرسول ﷺ خرج عام الفتح في رمضان حتى بلغ «الكديد» فبلغه أن الناس شق عليهم الصيام، فدعا بقدح فيه لبن، فأمسكه في يده حتى رآه الناس وهو على راحلته، ثم شرب، فأفطر، وناوله رجلاً إلى جنبه فشرب، فصام الرسول ﷺ في السفر وأفطر (ن م ص ٩١).

ويستمر الطبري في رواية أحاديث عديدة لا تخرج عن هذا المأل، بعضها يرد في سندها عكرمة وابن عباس الذي شهد النبي ﷺ يفطر بشرب اللبن، وبعضها تنتهي عند عكرمة فقط، ثم يستطرد الطبري إلى ذكر من روى أحاديث تؤيد مضمون الأحاديث السالفة، ومنها برواية شخص اسمه «طاووس» الذي روى مضامين الأحاديث التي تنتهي عند ابن عباس الذي قال: «فصام رسول الله ﷺ في السفر وأفطر فمن شاء صام، ومن شاء أفطر» «ن م ص ٩٢».

ويورد الطبري روايات أخرى في هذا السياق، وهي تنتهي عند طاووس وابن عباس،

الافطار (ن م ص ١٢٨-١٢٩).

ثم يأتي الطبري بمثال يجمع بين الصوم والافطار في حادثة واحدة، وذلك بالخبر الذي نقله احد الرواة عن ابيه الذي قال بأنه خرج مع الامام علي كرم الله وجهه، في شهر رمضان، من قرية يملكها الامام علي، وكان يركب حماراً، بينما كان هو «اي الراوي» يمشي على رجليه، فصام الامام وأمر الراوي بالافطار، فأفطر (ن م ص ١٣٠).

والذي يستفاد من هذا الحادث ان رخصة الافطار، كان سببها ان الشخص الذي امره الامام علي ان يفطر كان ماشياً على قدميه، في حين ان الامام واصل الصيام لأنه كان راكباً لا يتعرض لتأعب السير على الاقدام، وهنا يتدرج الطبري في ضرب الامثلة، فيروي عن عثمان بن ابي العاص، وسعيد بن جبير، قول كل منهما بأن الفطر في السفر رخصة، والصوم افضل منه (ن م ص ١٣٠-١٣١).

كما ينقل عن صحابي هو «ابو وائل - ولم يصرح باسمه» الذي خرج في غزوة شارك فيها ثلاثة عشر من الصحابة «من اهل بدر» وقد هلّ رمضان، فنادى المنادي بأن الرسول ﷺ صام في السفر وأفطر، فمن شاء فليصم، ومن شاء فليفطر، ولكن سرعان ما اردفه بخبر مما قاله احد الصحابة او أحد التابعين تعليقاً على قول أحدهم، بأن المسلمين يسافرون في الشتاء في رمضان،

عبد الله وحمزة الأسلمي الى جانب عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها وعنهم أجمعين، وكلها تنص على رخصة الافطار في السفر، وهي رخصة من الله سبحانه، فمن أخذ بها فحسن، ومن احب ان يصوم فلا جناح عليه (ن م ١٠٣-١٢٢).

وهنا يتحول الطبري رحمه الله الى ابداء الرأي فيما تقدم سرده، ويستهل بهما روي عن عائشة رضي الله عنها، قولها: ان الرسول ﷺ قد قال: «الصائم في رمضان في السفر، كمفطره في الحضر»، ومثله ما قاله عبد الرحمن بن عوف وابو سلمة بن عبد الرحمن وجابر بن عبد الله، الذين رواوا قول الرسول ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر» ومجموع الروايات التي تضمنت هذا القول، تبلغ تسع روايات (ن م ١٢٣-١٢٧) مما تؤكد صحة الخبر الا انه سرعان ما يعمد الطبري الى ادراج أقوال الصحابي انس بن مالك، وهي تفيد الاباحة للمسلم الصوم في السفر، كما تبيح له الافطار حسب اختياره، ولكن الصوم افضل، ومثل ذلك ورد في الأقوال المنسوبة للصحابي مجاهد وآخرين من الصحابة، مثل ابي سعيد وابن عمر وعبد الله بن مسعود، وكلها تؤكد حرية الاختيار بين الصوم والافطار (ن م ص ١٢٨)، ومن بينها قول لابن عباس ينص على: «خيرك الله بين اليسر والعسر فذع العسر»، اي تفضيل ابن عباس للإفطار، ومثله سعد بن ابي وقاص الذي أيد جانب

عنه بأنه أفطر وأمر بالافطار «اي انها أصدق» ويروي في هذا الشأن قولاً لابن عباس مفاده: «الافطار في السفر عزيمة» كما يروي قولاً لعبد الله بن عمر يؤكد فيه ان الافطار في السفر صدقة تصدق بها الله على عباده، وأنه سُئل عن مقولته تلك، فأجاب: «أرأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك، ألم تغضب؟» فإنها صدقة من الله تصدق بها عليكم».

وواصل الطبري الكلام عن ابن عمر، فروى قولاً لنافع «مولى ابن عمر»، يؤكد فيه ان ابن عمر كان لا يصوم في السفر، ولا يكاد يفطر في الحضر، الا ان يمرض ولكنه يصحب في السفر من يواصل الصيام، ويأمر مولاه «نافع» بأن يعد لصاحبه السحور، ثم يروي قولاً آخر لنافع هذا، بأن ابن عمر يقول: «لأن أفطر في السفر أحب الي من أن أصوم» ويقصد في رمضان، ويروي قولاً لشخص يعرفه مفاده «ما رأيت ابن عمر صائماً في سفر ولا مفطراً في حضر» (ن م ص ١٢٧-١٤٠).

وتأكيداً لهذا الموقف روى الطبري خبراً عن رأي الصحابي أبا ذر الغفاري مفطراً اثناء سفره في رمضان (ن م ص ١٤١) ثم يواصل المؤلف ايراد الاخبار التي تؤكد فضل الافطار في السفر على الصيام الذي كرهه بعض الأتقياء، وقد روي عن الزهري قوله: «ليس من البر الصوم في السفر» اعتماداً

وصيامه أهون بالنسبة لمن يقضيه «اي من أفطر في الحر» اذ قال مذكراً بالآية الكريمة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وما كان ايسر على المسلم فليفعله (ن م ص ١٣٢).

ويعود الطبري رحمه الله للتذكير بما كان يفعله الصحابة، نقلاً عن سعيد بن المسيب والشعبي وغيرهما، من ان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسافرون في رمضان، فيصوم الصائمين ويفطر المفطر، ولا يعيب المفطر على الصائمين، ولا الصائمين على المفطر، وكان بعضهم يقول: «ان صمتم فقد اجزأ عنكم، وان افطرتم فقد رخص لكم» (ن م ص ١٣٤)، وضرب مثلاً بما روي له عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه صام في سفرتين، وقد تابعه مرافقوه (ن م ص ١٣٥-١٣٦).

واستطرد الى الكلام عما وقع من نقاش بهذا الشأن، بحضور عمر بن عبد العزيز ايام توليه امانة المدينة المنورة، فاستشهد احدهم بعبد الله بن عمر الذي لا يصوم في السفر، بينما احتج معارضه بعائشة ام المؤمنين التي كانت تصوم في اسفارها، وعندما احتد النقاش، تدخل عمر بن عبد العزيز، وقال: «اللهم غفراً اذا كان يسراً قصوموا، واذا كان عسراً فأفطروا» (ن م ص ١٣٦).

ويستطرد الطبري الى القول بأن هناك من يقول بتوهين الاخبار الواردة عن الرسول ﷺ، بأنه صام وأفطر، وتصحيح الاخبار الواردة

الله عنها كانت تصوم في السفر ايضاً، شأنها شأن عدد من الصحابة (ن م ص ۱۴۸-۱۴۹)، ثم روى أخبار بعض الصحابة مثل حمزة الأسلمي وعروة بن الزبير، اللذين كانا ممن يصوم الدهر، وكانا يصومان في السفر والحضر الا اذا اصابهما المرض (ن م ص ۱۵۰).

ثم يخلص الطبري الى القول بأن اساس الأمر، هو ان الرسول ﷺ صام في سفره عام الفتح، فلم يفطر حتى قارب مكة، ودنا من عدوه، فأفطر بسبب احتمال وقوع الحرب، وخشية ان يضعف الصيام اصحابه عند لقاء العدو وهم صائمون، وهكذا فإن الفطر نُدب اليه بسبب الخوف من وقوع الضرر على المسافرين، وهو في هذه الحالة ناشئ عن احتمال وقوع القتال، وانه في غير هذه الحالة وما في حكمها، فإن الافطار غير جائز في شهر رمضان لسفر ولا لغيره، عند من يتشدد في الأمر (ن م ص ۱۵۰).

وهناك فريق آخر أباح الافطار في السفر، وان لم يكن هناك ما يعرض الصائم الى الأذى، ولكن هذا الفريق يرى ان الصوم أفضل، لأن الله سبحانه وتعالى اباح الافطار في السفر تيسيراً على المسلم بقوله: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ البقرة: ۱۸۵، وقالوا: اذا لم يكن على المسلم عسر فالأفضل له الصوم (ن م ص ۱۵۱).

على الاخبار التي رويت عن الرسول ﷺ، وانه «اي الافطار» كان آخر الأمرين من فعله ﷺ في السفر، وانما يعمل بالآخر من أفعاله، اذ هو الناسخ لما قبله، كما ان الافطار تؤكد الآية ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من ايام أخر﴾ البقرة: ۱۸۵، وقد قال البعض: ان الله ألزم المريض والمسافر في شهر رمضان صوم ايام من غير شهر رمضان، في حين فسر ذلك فريق آخر بأن رخصة الافطار كان هدفها التيسير على المريض والمسافر، والتخفيف عليهما برخصة الافطار بسبب المشقة، واما من لم يكن منهما عليه مشقة في الصوم، فإن الفضل له في الصوم وترك الافطار (ن م ص ۱۴۴-۱۴۵).

وهكذا يتحول الطبري الى الكلام عن من كان يرى التزام الصوم في السفر والمرضى اذا كان يسراً ولم يكن عسراً، لأن الصيام واجب، اذ يروى عن الصحابي انس بن مالك رضي الله عنه قوله بأن الآية المشار اليها آنفاً في الافطار قد نزلت ونحن نرتحل جياً، وننزل على غير شيع، واننا اليوم نرتحل شباعاً وننزل على شيع، اي قد اختلفت الظروف بين الحالتين، ثم نقل أخباراً عن انس نفسه الذي قال: كنا مع ابي موسى الاشعري نقاتل الفرس في «تستر» فصام وصمنا (ن م ۱۴۵-۱۴۷).

ويواصل الكلام عن من كان يصوم اثناء السفر، بل وحتى في ايام القتال، وزاد على ذلك قول الرواة بأن عائشة ام المؤمنين رضي

السفر الى ضياع شيء من فروض الله سبحانه، أو خيف عليه بصومه من وقوع مكروه عليه، مما يمكن إصلاحه بالإفطار، وجب عليه الإفطار، ويأثم اذا أصر على الصوم (ن م ص ١٥٢).

ثم يستشهد على صحة ما ذهب اليه ببعض الأمثلة، فيروي حديثاً عن جابر نقله الإمام الأوزاعي، ونقله عنه راويان هما أيوب بن سويد في الأولى، والعباس بن الوليد العذري في الثانية، مفاده انه -اي جابر- كان في غزوة مع الرسول ﷺ، واذا برجل يُرش عليه الماء، تحت احدى الاشجار، فقال ﷺ عندما رآه: «ليس من البر ان تصوموا في السفر، فعليكم برخصة الله التي رخص لكم فاقبلوها».

ثم كرر رواية هذا الحديث نقلاً عن الحسن بن عرفة وبسند ينتهي عند جابر بن عبد الله، بنص قريب من هذا النص، وفيه يقول الراوي: ان ذلك الرجل ضعف ضعفاً شديداً، كاد يقتله العطش، وان النبي ﷺ علم بخبره وأمر بنقله ليراه، فقال له: «ألسنت في سبيل الله ومع رسول الله؟! أفطر أفطر (مكررة)» (ن م ص ١٥٢-١٥٥).

وروى هذا الحادث يوسف بن موسى القطان بسند ينتهي عند جابر أيضاً، وفيه خبر عن تردي حالة ذلك الرجل، وان رسول الله ﷺ دعا بإناء فيه ماء ووضعه على يده،

ويخلص الطبري رحمه الله الى القول بأن الصواب عنده هو قول من قال: الإفطار في رمضان في السفر هو غير معصية لله، بل هو رخصة من الله لعباده، وتيسير عليهم كما هو واضح من نص الآية آنفة الذكر، ولذلك فإن من اختار رخصة الله فأفطر في حال سفره أو مرضه، لم يكن معتصفاً ومن اختار الصوم وهو يسر غير عسر عليه، فهو له أفضل لصحة الخبر عن الرسول ﷺ انه صام وصام أصحابه حين توجه الى مكة لحرب قريش، اذ كان يسراً عليهم، وانه افطر وأمر اصحابه بالإفطار لما دنوا من عدوهم لحربهم، فصار الصوم عسراً، اذ لقوا العدو وهم صيام، لا يؤمن على كثير منهم الضعف، فصومهم يكون سبباً في عجزهم وقوة لعدوهم (ن م ص ١٥١-١٥٢).

ثم أضاف على ذلك قوله: ثم ان الصوم للمسافر في طاعة الله وفي غير معصيته، افضل له ان يصوم اذا كان ذلك يسراً عليه غير عسر، ولا يكون عليه حرج اذا أفطر لعموم قوله تعالى: ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ البقرة: ١٨٥، (ن م ص ١٥٢).

ومن هنا يعرج الطبري الى تناول الأحاديث التي تنقل أقواله ﷺ في هذا الصدد، ومنها «ليس من البر الصوم في السفر» و«الصائم في السفر كالمفطر في الحضر»، ويقول: ان المقصود بذلك هو اذا ادى صوم الصائم في

لمكروه، ولا على من هو معه من اصحابه، فالصوم -بلا شك- له افضل، وقد استشهد له بروايتين متطابقتين، تنتهيان بسندهما الى ابي الدرداء مع اختلاف سلسلة الرواة في كل منهما، مفادهما انه -اي ابو الدرداء- كان في سفر مع الرسول ﷺ في شهر رمضان، وكان الحر في غاية الشدة، فأفطر جميع من كان مع النبي ﷺ، ولكن الرسول وعبد الله بن رواحة استمرا رغم شدة الحر، على مواصلة الصيام (ن م ص ١٦٠).

ولا شك ان الطبري رحمه الله اراد ان يختتم هذا النقاش الشرعي، بالنسبة للصوم والافطار في السفر، بدليل حاسم مفاده ان المعيار المفضل لدى رسول الله ﷺ، في اباحة الافطار او الصوم خلال السفر، هو مدى توقع حصول الأذى لمن يواصل الصوم، وليس مجرد كون المسلم يسافر في رمضان، والا لما سافر المصطفى ﷺ وصاحبه عبد الله بن رواحة رضي الله عنهما، صائمين مع شدة الحر الى حد لم يطق تحمله من كان معهما من المسلمين، فأقر رسول الله ﷺ افطارهم عملاً بالرخصة الإلهية، وصوناً لأرواح المسلمين ورأفة بهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ التوبة: ١٢٨، صدق الله العظيم، وبلغ رسوله الكريم، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

ثم رآه الناس، شرب وشربوا، ولهذا الحادث روايات عدة لا تخرج عن هذا المعنى.

ويؤكد الطبري بأن ما حصل من تردي حالة ذلك الرجل، هو الذي أدى الى قول رسول الله ﷺ: «ليس من البر ان تصوموا في السفر»، وفي بعض الروايات زيادة تنص على قول النبي ﷺ: «عليكم برخصة الله التي رخص لكم» (ن م ص ١٥٦-١٥٨).

ولم يكتف الطبري بما تقدم، بل عمد الى دعم صحة هذه الأخبار التي يرويها كلها جابر ابن عبد الله بحديث رواه بكر بن عبد الله المزني، مفاده ان رسول الله ﷺ سافر في رمضان فصام، فرأى الناس مجهودين، فأتى بإناء من لبن فشرب والناس ينظرون، يريهم أنه مفطر (ن م ص ١٥٩) ومن هنا خلاص الطبري الى ان قول النبي ﷺ: «ليس من البر الصوم في السفر» وقوله: «الصائم في السفر كالمفطر في الحضر»، ينبغي ان يفهم من هذين القولين، ان الافطار هو لمن كان بمثل الحال التي ذكرها جابر، اذ بلغ ذلك الشخص حداً من العطش والضعف ما كاد يقتله.

ثم يقول: لا شك ان من كانت حاله بذلك السوء فالافطار به أولى من الصوم، ولا بر في صومه، بل البر هو في الافطار، وانه لو واصل الصوم فسقد وقع في الاثم، كالمفطر في الحضر، بخلاف من هو قادر على الصوم وغير خائف من تعرضه -بسبب الصوم-